(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية/جامعة سومر بالتعاون مع جامعة الامام الصادق(ع) للفترة من8-9 اذار 2023 ,الصفحات 40-64

الأحزاب العلمانية في النجف الأشرف وتأسيساتها (دراسة في العوامل والأسباب) 1945-1963

أ.م.د. حنان عباس خيرالله[1]*
م.م حمد عبود مهاوش[2]*

[1] *كلية التربية للعلوم الانسانية, جامعة ذي قار, العراق*

[2] *مديرية تربية, ذي قار ,العراق*

الملخص

إنّ دراسة هذه المدة من تاريخ الأحزاب العلمانية في النجف الأشرف وتأسيساتها 1945-1963(دراسة في العوامل والأسباب) تكمن في كونها تشكّل أخطر مدة زمنية في تاريخ الأحزاب العلمانية في العراق بصورة عامة والنجف بصورة خاصة. ومما يزيد من أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج موضوع ارتبط في أقدس مدينة ألا وهي النجف الأشرف. وقد كان هذا السبب الرئيس الذي اضطر الباحث إلى الاطلاع على كلّ ما يتعلق بهذا الخصوص من دراسات باعتبارها الأساس الصحيح الذي يمكن الركون إليه في دراسة الحقائق التاريخية.

الكلمات المفتاحية: السياسة ، الأحزاب ، النجف الأشرف ، الحزب الشيوعي ،الحزب القومي

Secular parties in Najaf and their establishments

(a study of the factors and causes) 1945-1963

Assistant Professor Dr. Hanan Abbas Khairallah[1]*

Lecturer: Muhammad Abboud Mahawish[2]*

[1]College of Education,, University of Dhi Qar, Thi-Qar, Iraq

[2]Education Directorate, Thi-Qar, Iraq

Abstract

The study of this period in the history of the secular parties in the Holy City of Najaf and their establishments from 1945-1963 (a study of the factors and causes) lies in the fact that it constitutes the most dangerous period of time in the history of the secular parties in Iraq in general and Najaf in particular. What increases the importance of this study is that it addresses a topic related to the holiest city, which is the Holy City of Najaf. This was the main reason that forced the researcher to review all the studies related to this regard, as they are the correct basis on which one can rely in studying historical facts.

Keywords: politics, parties, Najaf al-Ashraf, the Communist Party, the National Party.

* **Email address: Dr.Hanan.Abbas.Khairullah@utq.edu.iq**

1. المقدمة

أولاً/ التعريف بموضوع البحث

لقد ارتبطت العلمنة في مجتمعات أوروبا الغربية بتقدم الثورة الصناعية والتقدم السريع في العلوم وانتشار التقنيات الحديثة. وكانت النتيجة المصاحبة لذلك هي انخفاض عدد القائمين على الكنيسة مع اهتمام أقل للالتزامات الدينية. ازدهرت الأيديولوجيات العلمانية والحركات المعادية للدين في مثل هذه البيئات كبديل جذاب للمثقفين العلمانيين وحتى بعض المعارضين الدينيين. على الرغم من عدم وجود رابط لا مفرّ منه بين العلمانية والتصنيع المتقدم ، إلا أنّ النتائج تشير إلى شكل من أشكال العلاقة. في الوقت نفسه يقال : إنّ "القوى السياسية العلمانية كانت تعمل في البلدان التي لا تزال متخلفة من حيث التنمية الصناعية الرأسمالية ، كما هو الحال في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر وفي العديد من البلدان المتخلفة اليوم.

شهد العراق ظاهرتين في العشرينيات والخمسينات من القرن الماضي تحديين رئيسيين، تراجع لا سابق له في دور الدين بين العراقيين ، لا سيّما المجتمع الشيعي وصعود ظاهر في شعبية الأيديولوجيات العلمانية. وعلى الرغم من حقيقة أنّه مثل هذا الاتجاه يمكن ملاحظته في أجزاء أخرى من العالم في المدة نفسها، فإنّ المجتمع الشيعي العراقي يقدّم من دون شك حالة فريدة للدراسة، بل على العكس شهدت مدة الستينات تراجع لدور الحزب الشيوعي أمام دور رجال الدين لتستغل الأحزاب العلمانية القومية ذلك الفراغ.

أما عن تحديد مدة البحث ما بين 1945-1963 فيعود إلى بعض الأسباب التي تسوغ هذا الحصر. ففي عام 1945 بدأ التغيير في السياسة البريطانية وهو العزوف عن سياسة الضغط ، والاتجاه نحو سياسة المرونة لكي لا تفقد حلفاءها بعد أن زاد المدّ الوطني في تلك البلدان. دفعت تلك التطورات الحاصلة في السياسة البريطانية، الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله وبتوجيه من بريطانيا نفسها، التي رأت ضرورة امتصاص النقمة الشعبية المتزايدة والشعور المعادي للسلطة الناجم من ثقل الضغط الذي مارسته في أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية إلى الطلب من مجلس الأمة عقد اجتماع مشترك في 27 كانون الأول 1945. ويلقي خطاباً أعلن فيه عزم الحكومة إطلاق الحريات العامة، وفسح المجال لتشكيل الأحزاب السياسية، في حين كان عام 1963 نهاية للبحث ، كون ان عام 1963(نهاية حكم عبد الكريم قاسم) ، التي كانت بداية ظهور الأحزاب الأيديولوجية الجماهيرية أو الشعبية التي اعتمدت على القواعد الشعبية الفقيرة وعلى البسطاء والشباب والعمال والفلاحين، وتصدرت المشهد السياسي بقوة جماهيرها ومساحة تأثيرها الشعبية، برغم أنّها استوردت أيديولوجياتها من الخارج ونهاية لذروة نشاط الشيوعيين وبداية المدّ القومي.

يضاف إلى ذلك فإنّ أبرز ما يميز هذه المدة 1945-1963 هو التنافس الدائر للاستحواذ على الساحة النجفية بين الأحزاب العلمانية(القومي والشيوعي) وظهور الاتجاه الإسلامي المعارض لها.

ثانياً/ أهمية الموضوع

تكتمن أهمية هذه الدراسة كونها تسلط الضوء على العوامل والأسباب التي ساعدت تلك الأحزاب الدخول لهذه المدينة المقدسة، وبعبارة أخرى نقول : إنّ البحث يكاد يكون إجابة متواضعة على السؤال الذي يدور حول الطرق التي دخلت

الأحزاب العلمانية من خلاله إلى المدينة ذات البعد الديني ، لاسيّما بعد ثورة العشرين والانتخابات للمجلس التأسيسي, اتبعت الحكومة العراقية سياسة تهميش ونفي العلماء وتقييد الحوزة بإشراف سلطات الانتداب البريطاني في الشأن السياسي.

ثالثاً/ منهج البحث

سنتبع في دراستنا لموضوع البحث المنهج التحليلي المقارن، فنستعين بالمنهج التحليلي لاستقراء النصوص التي تناولت العوامل والأسباب التي ساعدت تلك الأحزاب العلمانية (القومية والشيوعية) في دخول إلى مدينة النجف المقدسة وظهور الاتجاه الإسلامي المعارض لها.

رابعاً/ خطة البحث

سنقسم موضوع البحث على مبحثين رئيسين تسبقهما مقدمة وتهميد وينتهي البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، تطرق التمهيد إلى (الجذور التاريخية للوعي السياسي في النجف الأشرف)، وسنتناول في المبحث الأول الأحزاب العلمانية في النجف الأشرف(القومية)، وفيه ثلاثة مطالب، نبحث في الأول عن جذور التواجد القومي 1919-1945، ونتناول في الثاني الأحزاب القومية 1945-1958 ، ، ونخصص الثالث للعوامل والأسباب في ظهور الحزب القومي في النجف الأشرف . اما المبحث الثاني، فسنتناول به الأحزاب العلمانية في النجف الأشرف(الشيوعي) وفيه ثلاثة مطالب، نبحث في الأول عن جذور التواجد الشيوعي 1917-1945 ، ونتناول في الثاني الحزب الشيوعي 1945-1963، ونخصص الثالث للعوامل والأسباب في ظهور الحزب الشيوعي في النجف الأشرف.

التمهيد

الجذور التاريخية للوعي السياسي في النجف الأشرف

كان للحزب العلماني (القومي والشيوعي) ظروف وعوامل ساعدت في نشأته وتكوينه، ليظهر كتيار سياسي في مدينة النجف الأشرف، ولكن لا بدّ من التوقف عند الجذور التاريخية لهذا الوعي السياسي. تعدّ الثورة الدستورية العثمانية عام 1908 من العوامل الرئيسة للوعي الفكري السياسي في المجتمع النجفي ؛ لأنّها عملت على إلغاء القيود المفروضة على الصحافة والنشر، فضلاً عن فتح الأبواب النجفية للمؤثرات الخارجية , ولاسيّما الدوريات القادمة من مصر وبلاد الشام الزاخرة بالأفكار ومنها الأفكار العربية، وأشهر تلك الصحف والمجلات القادمة من بيروت (الجنان والنخلة والبشير والاثار والمسرة والكوثر والنبراس والفرقان والنقاش والمنهل) اما المصرية فهي (المقتطف والهلال والضياء والمنار والمشير واللواء والمقطم والاهرام) والعثمانية واهمها (بصيرة وحقائق ووقايع وطريق)[1].

المبحث الأول

الأحزاب العلمانية في النجف الأشرف(القومية)

يعد العراق من الدول التي لم تأخذ بالقضاء التجاري المستقل عن القضاء المدني، فقانون السلطة القضائية رقم 26 لسنة 1963 الملغى لم ينص على تشكيل محاكم تجارية مختصة ضمن تشكيلات المحاكم التي أشار إليها، كما إن قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969 المعدل رفع كلمة التجارية من تسمية القانون بخلاف القانون الذي سبقه والذي يحمل

تسمية قانون أصول المرافعات المدنية والتجارية رقم 88 لسنة 1956 الملغى، كما إن قانون التنظيم القضائي رقم 160 لسنة 1979 لم يتضمن إشارة إلى المحاكم التجارية ضمن أنواع المحاكم، إلا إنه بدأ في العقدين الأخيرين بتشكيل عدد من محاكم البداءة المختصة في الدعاوى التجارية، الأمر الذي يتطلب الوقوف على ماهيتها وبيان الأساس القانوني لتشكيلها وتحديد اختصاصها، وهذا ما سنتناوله في المطالب الآتية:

المطلب الأول

جذور التواجد القومي 1919-1945

مارس الاتحاديون بعد سيطرتهم على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية أساليب التعصب العنصري "السياسة الطورانية" وهي السياسة التي استفزت المشاعر العربية في العراق، وكان لبعض أهل النجف من النخب المتنورة دور في التمهيد للظهور الوعي العروبي لا في مدينة النجف الأشرف فحسب بل في العراق , وهم السيدان (محمد سعيد الحبوبي , وهبة الدين الشهرستاني) , والشيخ (محمد رضا الشبيبي) كيف كان لهم الفضل في خلق اتجاه جديد في التفكير في اوائل القرن العشرين، بالدعوة إلى التفكير بالدور العرب وطاقاتهم ورفضهم التسلط الاتحادي، ووصفت مدينة النجف بأنّها أول من تقبل ودافع الأفكار الداعية إلى التجديد والقومية العربية[2].

ونتيجة ضغوط الاحتلال البريطاني من السخرة والاستبداد واستفزاز المشاعر وغيرها من السياسات التي عملت على تزايد للوعي العروبي في مدينة النجف الأشرف , ففتح حزب (حرس الاستقلال) البغدادي فرعاً له في مدينة النجف الأشرف في اوائل 1919 فضلاً عن تشكيلات الشبيبة العراقية في بغداد التي وصفها البريطانيون في تقاريرهم ب(الشبيبة القومية) وهي الجمعية الي اندمجت بحزب(حرس الاستقلال) بسبب تشابه البرنامج الوطني والتركيبة اللاطائفية[3].

وفي بداية تشكيلة الحكومة العراقية 1921 كانت على أساس قومي، مما دفع بالعلماء في النجف الدفاع عن الأفكار القومية خلال المرحلة الأولى كتعبير عن مشاعرهم العفوية وغير المنظمة وإلى جانب النزعة للقومية العربية في مشروع الهلال الخصيب، وأسّست النخبة القومية في النجف عام 1921 اول مدرسة ضمت بشكل أساس مجموعة نجفية مثل سعدي كمال الدين، والسيد يحيى الحبوبي، والسيد كريم سلمان، ومحسن الحاج عجنة، مدعومة من وزير الاعلام محمد رضا الشبيبي [4].ولكن هذه المرحلة توقفت بسبب فرض النخبة السنية في السلطة توجهاتها التي همشت الشيعة من خلال افكار ساطع الحصري، وكانت مرحلة تأسيسية للمرحلة الثانية من مرحلة القومية العربية 1921-1941، كتوجه علمانيا مشبعا بمزاج معاد واضح للشيعة، ولكن مرحلة الاربعينات ظهرت شخصيات قومية شيعية ضمن الحراك[5].

المطلب الثاني

الأحزاب القومية 1945-1958

بعد الحرب العالمية الثانية تصاعدت الأفكار التي تتمحور في مفاهيم (التاريخ والعادات والتقاليد واللغة) فظهرت نواة جديدة للتنظيم العروبي في مدينة النجف الأشرف تجسد بتشكيل يذكره احد المنتمين اليه هو" كاظم محمد علي شكر" يدعى(منظمة الشباب القومي العربي) والغاية منه تعبئة المجتمع النجفي في مواجهة المد الشيوعي وعمل هذا التنظيم على كسب الشباب، والاسراع بتنظيمهم حتى لا يميلون إلى الشيوعية وكان شعارهم " منظمة جهادية فكرية اسلامية قومية عربية" فكان الحزب القومي مدينة النجف الأشرف، من الحزبان التي لقيت قبولاً متزايداً في مجتمع المدينة، لاسيما مع تصاعد المد

الناصري، إلى جانب تأثير سوريا والأردن. وأمام ذلك التفاعل برزت مجموعة من الحركات السياسية التي اتخذت بمجموعها(الحزب القومي النجفي) مستغلين جميع الوسائل طرح توجهات حزبهم[6].

كان الشباب النجفي يعزز ميوله القومية وثقافته السياسية من المحطات الإذاعية (القاهرة ودمشق) التي تذيع خطابات وموضوعات ذات توجه قومي عربي وبخاصة خطابات الزعيم المصري(جمال عبد الناصر) الذي لم يتعمد على توجيه الإذاعات فحسب بل استغلال كلّ القنوات الدبلوماسية، إلى جانب كون أهالي النجف كانوا على اتصال مع القوميين بغداد من أمثال (محمد مهدي كبة) واطلاعهم على الصحف العربية ذات التوجه القومي العربي كالأردنية(الرأي العام) و(الثأر) والمصادر المكتوبة من قبل بعض قوميي النجف، وهي مصادر اعتادوا على قراءتها بالترتيب لقلتها، لاسيما أنها كانت ممنوعة التداول بعد عام ١٩٥٤، من قبل حكومة(نوري السعيد)الثانية عشر[7].

كان قوميو النجف قد أخذوا بالتكتل لتشكيل حزب خاص بهم سواء أكانوا من(الاستقلاليين) أم(جماعة الشباب القومي ألنجفي) الذين وحدوا عملهم ثقافياً، ومن أساليبهم إقامة مجلس عزاء على سبيل المثال دار أحد أعضائهم أقيم عند(كاظم محمد علي شكر) وغايته حضور كل قوميي النجف وتوحيدهم، فضلاً عن إقامة ملعب لكرة القدم في منطقة (مقبرة النجف الأشرف) ؛ ليكون بمثابة تجمع لتبادل المعلومات والآراء، وتحقيق اللقاءات المستمرة بين شباب المحلات النجفية وكسبهم وتوحيدهم، وهي خطوات جاءت لإشعار المجتمع النجفي بوجودهم وفاعليتهم، أخذ قوميو النجف التحرك بين أوساط المجتمع النجفي بكثرة مجالس العزاء والمقاهي والتجمعات الشبابية وغيرها، بل أخذوا إقامة مجالس العزاء شهري(محرم وصفر) , وراحوا ينطلقون بشكل تنظيمي ومرتب من أحد المساجد الدينية مدينة النجف الأشرف وهو(مسجد ال المظفر) محلة المشراق. ويرجع فضل ذلك الانطلاق الجديد إلى جهود الشيخ(حاتم الحاج راضي)الذي وصل دوره إلى الاشراف على الطلبة المنتمين لهذا التجمع، وتلقينهم القصائد القومية التي كان ينظمها الشيخ (عبد المنعم الفرطوسي) وكان جماعة(الشباب القومي العربي) ذو علاقات وروابط فكرية وتنظيمية مع الأردن بوساطة الفلسطينيين المهاجرين، الذين يبعثون بصحيفتي(الرأي) و(الثأر)القوميتين بوساطة بعض تجار النجف , وكان هؤلاء الشباب يتبادلون الارتباط من حزب إلى آخر سواء كان(منظمة الشباب القومي) , أم(الاستقلال) , أم(البعث) , أم جماعة (مكتب الشباب القومي العربي) لوجود رابط بين هذه التشكيلات القومية العربية، وحلم إنشاء دولة عربية واحدة. وراحوا يقومون بنشاطات سياسية كالمظاهرات والإضرابات العامة مثل مظاهرات الاحتجاج على(معاهدة مناصفة الأرباح ١٩٥٢ ، لإثبات وجودهم في المجتمع النجفي، وكان من أكثر من اتبع هذا الأسلوب(البعثيون النجفيون)الذين انتشروا بين طلبة المدارس عامي(١٩٥٣ ١٩٥٤) , ووصل الأمر إلى حد تشكيل تنظيم سياسي مسؤوله الكربلائي(جواد أبو الح ب)،وكان من رموز ذلك التنظيم(صادق الجصاني , وأبو الهيل الشيخ راضي , ومحمد رضا الشيخ راضي , وصدقي أبو طبيخ). وكانوا يعملون بسرية تامة ؛ بسبب التخوف من الحكومة الرافضة للعمل السياسي الحزبي، وكذا الحال بالنسبة إلى الشيوعيين، بل كان قوميي النجف رافضين أي ارتباط خارج حزبهم السياسي الموحد. وهو دليل على أنّ البعثيين غير مرتبطين أول الأمر(بالحزب القومي ألنجفي) وان ارتباطهم يرجع إلى الحزب القومي في كربلاء[8].

كان(الحزب القومي ألنجفي) ذا علاقة وصفها صلاح الخرسان بـالحليف مع(الحزب الإسلامي السياسي النجفي). وهذا التحالف يرجع إلى هدف مشترك يتمثل بإزاحة(الحزب الشيوعي النجفي) وكان بعض قوميي النجف كالشيخ (احمد الجزائري) يستلهم أفكاره لتنفيذ تلك السياسة من والده الشيخ (عبد الكريم الجزائري) , وعمه الشيخ (محمد الجواد الجزائري)

, حتى أنّ بعض اجتماعات قومي النجف كانت تقام في غرفة الشيخ (عبد الكريم الجزائري) (المدرسة الاحمدية) أو داره التي وصفها أحد المعاصرين بأنّها تحولت إلى مقر لتجمع الشباب القومي العربي النجف الأشرف , كلّ ذلك كان يجري، بدعم مادي ومعنوي من قبل الشيخين (محمد الجواد الجزائري) , و(هادي العصامي) , والشيخين(علي الشرقي) , و(محمد رضا الشبيبي) برغم أنّ الأخريين هما من سكنة بغداد[9].

كما كان البعثيون النجفيون يقومون خلال شهري (محرم وصفر) بحضور المجالس الحسينية، ولبس السواد، والمشاركة في إقامة المواكب الدينية، محاولة منهم بسط نفوذهم، وكسب الناس، وتأكيد إمكانية التعايش المذهبي، والايدلوجية في المجتمع النجفي. وهي المسألة التي صنّفت(الحزب القومي ألنجفي) ضمن إطار (العروبي الإسلامي)، وهو تصنيف لا يعكس هذا الحزب ككل. فبعضهم مؤمن بالعلمانية مثل الاستقلاليين والبعثيين، بينما البعض الآخر كان يؤمن بـ(الاسلام العروبي)، وهم جماعة الشيخ(احمد الجزائري) تشكيلات (منظمة الشباب القومي) وجماعة(مكتب الشباب القومي العربي)[10].

وعلى الرغم من الخطين اللذين اتخذهما(الحزب القومي النجفي)، فقد تمكّن من الانتشار بين الأوساط النجفية التي أخذت تردد كلمة (القوميين) إلى جانب ترديد (الشيوعيين) كناية عن وجودهم، وثقلهم في الشارع النجفي ، فقد استفاد قوميو النجف في نشر وبسط أفكارهم وتوجيهها[11].

اعتاد قوميو النجف بداية نشاطهم على محاولة كسب أكبر عدد من الناس وبشتى الوسائل، كالمناسبات الدينية، لمواجهة التحرك الشيوعي، واتسمت التحركات القومية في مدينة النجف الأشرف بأنّها ذات ميول خارجية، وهو الاعتماد إلى حد كبير على رؤى زرعها قوميو مصر وسوريا والاردن[12].

ومنذ عام 1955 بدا جمال عبد الناصر تمويل مشروعه القومي في العراق حتى سمّيت هذا السنوات مرحلة الاعصار القومية الناصري في العراق[13]، إذ ازداد(الحزب القومي ألنجفي) ثباتاً وظهوراً عقب انتفاضة العراق ضد العدوان الثلاثي , والتي تحركت بها مدينة النجف الأشرف، ولشدة بروز قوميي النجف ودورهم في هذه الأحداث، لقبتهم السلطات الحكومية(الهدامين) كناية عن دورهم السياسي ونشاطهم، فضلاً عن الأفكار التي يحملونها من إلغاء الملكية , وإسقاط (نوري السعيد) , ولاسيّما بعد ازدياد ارتباط قوميي النجف مع المدّ القومي الناصري والأردني. واستقوى حزبهم بعد الزيارات المتكررة للسفارة المصرية في بغداد عام ، وكذلك بـ(حركة القوميين العرب) ذات الأيديولوجية الهادفة إلى تحرير فلسطين، وشعارها(التحرير والوحدة والثأر) 1956[14].

وفي 24 تموز 1958 عند زيارة (عبد السلام محمد عارف) الذي كان يشغل حينها منصب(وزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء) احتشد عشرات أهالي النجف ، وهو دليل على وجود قوي (للحزب القومي النجفي) إلى جانب أهمية مدينة النجف الأشرف السياسية، عند القوميين البعثيين في بغداد. وهنا أصبح (الحزب القومي ألنجفي) يستند إلى ثلاثة محاور واضحة بعد عام ١٩٥٨الايدلوجية البعثية القومية، والصراع السياسي مع الشيوعيين، والتحالف مع(الجمهورية العربية المتحدة) , وواضح أنّ سبب تصاعد مكانة هذا الحزب يعود إلى المستجدات التي اعقبت ثورة 14 تموز 1958، والدعم المتواصل من الجمهورية العربية المتحدة[15].

بعد ثورة 14 تموز 1958 بدأت قوة الشيوعيين في العراق تبرز أكثر , ولا سيّما بعد أحداث حركة الشواف 1959 في الموصل ودور الشيوعيون في مساندة عبد الكريم في القضاء عليها، تحرك القوميون العراقيون تدريجياً نحو العلماء الشيعة على أمل تأمين دعمهم ضد عبد الكريم قاسم. يبدو أنّ العلماء الشيعة في النجف لديهم قلقون من هذا الاستقطاب السياسي. قام السيد الحكيم إرسال رسالة إلى نجيب الربيعي، رئيس مجلس السيادة ،بخصوص ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سيري , وبعض الضباط الوطنيين الآخرين الذين تمّ اعتقالهم خلال اضطرابات الموصل على الرغم من أنّ عريضة الحكيم كانت دعمًا معنويًا وليست عاطفًا مع القوميين ،ربما كان الشيوعيون العراقيون مستاؤون لأنّهم يعتبرون مثل هذه الخطوة علامة على تحالف محتمل بين القوميين و "رجال الدين الرجعيين" [16].

في عام 1960 على إثر افتاء السيد الحكيم بخصوص تحريم الانتماء إلى الشيوعية، بدأ نوع من الائتلاف غير المعلن بين القوميين والإسلاميين للتصدي للمدّ الشيوعي، وبدأ القوميون التوجه إلى علماء الدين من لم يفتِ بهذا الخصوص لتحشيد أكبر عدد من العلماء بغية اقناعهم بإصدار فتوى ضد الحزب الشيوعي[17].

لم يتأخر الحزب القومي عندما لاحظ التحول الفكر في النجف وبروز حزب إسلامي يدعو إلى قيام دولة إسلامية، فخلق نوع من الاضطراب وسط الحوزة من خلال رجل معمم يحسب على حزب البعث النجفي ، شاع أنّ العمل الحزبي ينخر في كيان الحوزة، مستغلين ضغط حكومة عبد الكريم قاسم لمنع هذا الاتجاه، وفعلاً رفض السيد الحكيم لفكرة قيام دولة إسلامية لعدة أسباب منها اجتماعية ؛ بسبب وجود أحزاب علمانية سوف تؤدي إلى تصادم سلبي، وإلى نهج حكومة قاسم العلماني[18].

رغم ذلك شهد عام 1962 خروج تظاهرات مشتركة بين الحزب الإسلامي والقومي منددة بموقف الحكومة وموقفها من الحكومة العربية المتحدة بالضد من دعم الشيوعيين لحكومة عبد كريم قاسم[19].

المطلب الثالث

العوامل والأسباب لظهور الحزب القومي في النجف الأشرف

لقد كانت ولادة الوعي القومي في مدينة النجف الأشرف، هو لنتيجة استبداد الاتحاديين، وتنكرهم لوعودهم (الحرية والإخاء والمساواة) واستخدامهم الأساليب العنصرية المستفزة للمشاعر[20].

في الوسط السني قوبلت القومية العربية بالترحيب والترحيب حيث كان الإسلام يعتبر مكونًا رئيسيا لهذه الأيديولوجية القومية. كانت الحالة مختلفة بالنسبة للمجتمع الشيعي حيث رأى العديد من الشيعة أملًا جديدًا للخلاص في الشيوعية بسبب خيبة أملهم من احتمال أي تغيير سياسي حقيقي خصوصا ان الملكية هي ذات صبغة قومية[21].

وهذا ما أكده الشيخ محمد مهدي الخالصي في منفاه في إيران , وأرجع الخالصي تلك الجاذبية للشيوعية إلى أوجه الشبه بين البلشفية والإسلام، وقد أشاد بالبلشفية وبخاصة لمبدأ المساواة، وأشار يجب القضاء على شرور القومية[22].

وكذلك نتيجة ضغوط الاحتلال البريطاني من السخرة والاستبداد واستفزاز المشاعر وغيرها من السياسات التي عملت على تزايد للوعي القومي العربي في مدينة النجف الأشرف، كانت سبباً لفتح فرع لحزب (حرس الاستقلال) البغدادي في النجف الأشرف.

إنّ الأنماط العلمانية والمعادية للشيعة داخل القومية العربية خلال ثلاثينيات القرن الماضي جعلت الشيعة أقل توجهاً إلى الحركة القومية , وأكثر ميلًا للشيوعية، ومع ذلك فمن الواضح أنّ القوميين كانوا يتنافسون لجذب الشيعة لقضيتهم ،مع التركيز بشكل خاص على استخدام الرموز والتقاليد الشيعية[23].

كان قانون الاصلاح الزراعي الذي أعلنته حكومة لثورة 1958 الذي استغل من قبل الحزب القومي في محاولة منه لتعبئة الجماهيرية وسط العشائر[24].

وبعد أحداث الشواف 1959 وتصفية الحراك القومي واعتقال الضباط القوميين من قبل حكومة عبد الكريم بمساندة الشيوعيين، فكان التحول الجديد للقوميين نحو الإسلام كوسيلة هو تغيير التوازن لصالحهم مقابل الحزب الشيوعي[25].

بدأ الحزب الشيوعي بعد ثورة 14 تموز وأحداث الشواف 1959 يكون الحليف القوي في حكومة عبد الكريم حتى أخذ سيطر على وسائل الإعلام، وبدأ بشن الهجوم الإعلامي من خلال الكتب والصحف والتصرفات إلى مرجعية النجف والاستهزاء بالدين وعادات وتقاليد الشعب، وفي 12 شباط 1960 كانت الفتوى لشهيرة للمرجع الاعلى السيد الحكيم أن حجمت من حجم الحزب الشيوعي , الأمر الذي زاد من ظهور القوميين مستغلين الفتوى والدفاع عن الدين[26] .

على الرغم من كلّ ما تقدّم استمد (الحزب القومي النجفي) نشأته وتكوينه في الخمسينات وستينيات القرن العشرين من الحركات السياسية القومية في بغداد التي أخذت بالتطور والقوة بفضل شخصية(جمال عبد الناصر)، والدعوة إلى الإسلام والعروبة، وبعضها ادّعى بأنّه تشكيل جاء لإنقاذ فلسطين ،وإرجاع هيبة العرب، والثأر لهم، وهي مفاهيم لم يعترض عليها النجفيون. فازداد نمو هذا الحزب بعد عام 1958 بسبب تصرفات الحزب الشيوعي ولا سيّما بعد أن تدخل في شؤون السلطة وتحكمه بوسائل الاعلام وتعرضه إلى الدين ،واستمرار الدعم الناصري حتى انقلاب 1963[27].

المبحث الثاني

الأحزاب العلمانية في النجف الأشرف (الحزب الشيوعي)

المطلب الأول

جذور التواجد الشيوعي 1917-1945

ترجع الجذور التاريخية للوعي الشيوعي النجفي، إلى أحداث (ثورة أكتوبر) تشرين الثاني1917ذات الأصداء الواسعة عند العراقيين. ولاسيما النجفيين منهم ،الذين استقبلوا أخبار الثورة الشيوعية، وأفكارها بوساطة زوار العتبات المقدسة من الإيرانيين[28]في رفد الحركات السياسية، وازدادت شعبية الثورة عند النجفيين بعد قيام الدولة السوفيتية الجديدة بفضح المعاهدات[29]، والاتفاقيات السرية لدول الحلفاء، وتصل تلك الأفكار أيضاً بوساطة الصحف الوافدة للعراق منها صحيفة

(حبل المتين) الصادرة بمدينة (كلكتا الهندية) والقادمة مع التجار النجفيين، وكانت تقرأ وتتداول بشكل واسع في المجتمع النجفي[30].

فضلاً عن احتواء النجف على عشرات المكتبات الحاوية على مئات المصادر المختلفة، وهناك علاقة صحفية بين افراد من النجف الأشرف وبعض الاشتراكيين العرب ومنهم الاشتراك شبلي مع السيد (هبه الدين الشهرستاني) , وقد اهدى الأول للثاني كتبه التي تتحدث عن الاشتراكية[31].

وكان النجفي الصحفي (محمد عبد الحسين) قد تأثّر بالشيوعية إثر رجوعه من إيران عام 1918. إذ عاد وهو محمل بأفكارها، فطرح أفكار ثورة أكتوبر بكل صراحة في المجتمع النجفي ، وحتى الكتابة عنها في صحيفة (الاستقلال) النجفية وعكس فيها بعض الانطباعات الشخصية عن الثورة الاشتراكية ووصفها بأنّها (قوة لا تقاوم) [32].

والجدير بالذكر أنّ الأفكار الشيوعية أخذت بالانتشار بشكل واسع في المجتمع العراقي بعد الحرب العالمية الأولى، بسبب دخول الكتب والصحف والمجلات العربية والأجنبية ذات الموضوعات المختلفة، فظهرت المكتبات العصرية في بغداد التي اختصت باستيراد المصادر المهمة بالفكر الشيوعي , ومنها (المكتبة العصرية) والواقعة في سوق السراي لصاحبها (محمود حلمي) , و(المكتبة العربية) لصاحبها (نعمان الاعظمي) , و(مكتبة مكنزي) لصاحبها (دنون مكنزي) الاشتراكي النزعة والفكر، لهذه الأسباب أخذ العراقيون يتعرفون على أسماء وأفكار كتاب الاشتراكية بما فيهم(نقولا حداد , وفرح انطوان , و فليكس فارس وغيرهم)[33].

ومن أولى الشخصيات التي حملت أسس الفكر الشيوعي إلى مدينة النجف (عبد الحسين المحامي) صاحب جريدة الاستقلال النجفية عام 1920، وأدى العداء للبريطانيين إلى اقبال من بعض المجتهدين والفقهاء الشيعة على روسيا السوفيتية، وعندما نفت السلطات بعض العلماء إلى إيران أو هاجر بعضهم إليها احتجاجاً على المعاهدة العراقية -البريطانية عام 1922 تمهدت سبل الاتصال أكثر[34].

إنّ أولى المحاولات لتشكيل حزب شيوعي سري في العراق، قد تمّت بتأثير الحزب الشيوعي السوري وسكرتيره خالد بكداش، وظهرت أول حلقة من الماركسيين العراقيين التي حاولت تأسيس أول تنظيم شيوعي في العراق، وأصدرت مجلة علنية، نصف شهرية في ديسمبر 1924، ولكن هذه المحاولة الأولى لم تنجح، فانفرط عقد الجماعة المؤسسة، وعندما جرت المحاولة الثانية الناجحة عام 1934، على يد «يوسف سلمان اليوسف»، الذي اشتهر باسمه الحزبي «فهد»، كان من بين مؤسسيها أحد أبناء النجف (مهدي هاشم)، وقد اختارت المجموعة لنفسها تسمية (لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار)، ثم جرى تغيير اسم الجمعية إلى (الحزب الشيوعي العراقي)، في تموز 1935، وأصدروا جريدة «كفاح الشعب» ناطقة بلسان الحزب الوليد، وكانت تُطبع بآلة (الرونيو)، لضعف امكانات الحزب في بداية التأسيس[35].

وقد اسست مجموعة او خلية في النجف سنة على يد كل من علي الشبيبي ومرتضى فرج الله، تهدف الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين، تمهيدا لتأسيس الحزب الشيوعي[36].

وكان البيان الأول (للحزب الشيوعي العراقي) في 21 آذار 1935 يحمل عنوان (ماذا نريد) إذ وجد منتشراً في شوارع مدينة النجف الأشرف، وهو دليل على وجود نشاط متميز للفكر الشيوعي في المدينة-ومما جاء فيه: (... ونحن دافعو الضرائب الجياع إنما هي ثورة من الصميم علة قوامها في صدورنا سنين عديدة , وهي ألا تتفجر لترضي وتشبع جشع أشخاص معدودين الهاشمي , والمدفعي , والسعيد , والأيوبي , والعسكري وغيرهم، كلّهم جُربوا , وكّلهم جاءوا إلى الحكم فلم يحدث أي تبديل ملموس..)[37].

وقد وُجهت أول ضربة للحزب في أواخر عام 1935، عندما استطاعت السلطة كشف التنظيم واعتقال اعضائه ومصادرة مطبعته، أيّد الحزب انقلاب (بكر صدقي)، الذي وقع عام 1936، ليفسح لنفسه مجال التحرك، ولكن بكر صدقي انقلب على الحركة الاصلاحية الاجتماعية بوجه عام والحزب الشيوعي بصورة خاصة[38].

وبسبب ذلك النشاط الشيوعي المتميز، والمبكر، عمدت الحكومة العراقية إلى تشديد الضغط على رجالات الوعي الشيوعي في مدينة النجف الأشرف العراقي، فهرب النجفي الشيوعي (مهدي هاشم) إلى إيران عام[39].

عقد الحزب الشيوعي العراقي مؤتمره الأول (الكونغرس) في شباط 1944، فأقر نظامه الداخلي، وانتخب لجنة مركزية جديدة، وانتخب (فهد) سكرتيراً عاماً للحزب، وانهمك الحزب في سياسته المتمثلة «بالمطالبة بتحسين أحوال العامل والفلاح العراقي المعيشية والصحية وإطلاق حرية العمل النقابي وبناء ريف عصري وإقامة مشاريع الري، كما طالب بإصلاح الوضع الاقتصادي وتحسينه، وإقامة المشاريع الصناعية والزراعية والعمرانية، وطالب بتحرير الثروة النفطية[40].

بين عامي 1941و1945 زاد الحزب الشيوعي العراقي من عضويته بين الطلاب والعمال وحتى الفلاحين (الفلاحين). كان هذا لسبب يتعلق أحدهما بتطورات الوضع السياسي الداخلي في العراق، ونتيجة للتطور-الطفيف- الخدمات العامة عقب الحرب العالمية الثانية، فقد تمخّض عن ذلك تحولات البنى الاجتماعية للسكان، فازداد ظهور النخب المثقفة، مع بروز الفئة الصناعية العمالية الذين أصبحوا وقوداً" للحركات السياسية ولاسيما الشيوعية ؛ والسبب ظهور فئة العمال هو ازدياد هجرة الفلاح من الريف إلى المدن , ومنها النجف الأشرف بسبب سوء الأحوال المعيشية التي تدهورت بعد تدهور العلاقات الاجتماعية ، إنّ نقمة الفلاحين كانت مفهومه عند الشيوعيين الذين اخذوا باستقبال أولئك الفلاحين المهاجرين مع نقمتهم ؛ ولذا وصف نشاط الشيوعيين مدينة النجف الأشرف الشيخ(محمد الحسين ال كاشف الغطاء) بالقول:(فيها أوكار واسعة , وفيها تشكيلات ومنظمات مرتبة يقودها شباب متحمس). وأخذت الحياة السياسية العراق بعد عام ١٩٤٦ تتعرف بشكل أكثر على(الشيوعية) التي اخذت بعداً" نفوس النخب العراقية، ومنها النجفية[41].

المطلب الثاني

الحزب الشيوعي 1945-1963

تلقت الحركة الشيوعية دعماً كبيراً من النجفيين في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضي. على الرغم من عدم وجود أرقام محددة، كانت النجف وراء بغداد مباشرة من حيث الأعضاء المنتسبين إلى الحزب. فقد عكست الصحافة النجفية في الأربعينات والخمسينات اهتماماً بالقضية الفلسطينية , واستقلال الأقطار العربية , واهتماماً

واسعاً بالحركة الاشتراكية والحزب الشيوعي العراقي , والقضية الفلسطينية , وبتطورات الحرب العالمية الثانية وقضايا استقلال الدول العربية بعد انتهاء تلك الحرب[42].

ومن أبرز الأمور التي أثارت الشارع على الحزب الشيوعي هو موافقة الاتحاد السوفيتي على قرار تقسيم فلسطين 1947، مما ولّد ردوداً اثّرت في مسار العمل في الحزب الشيوعي، فجاء موقف علماء ورجال الدين والمفكرين في النجف موقفاً مضاداً صلباً من الشيوعية، فضلاً عن الأدباء والكتّاب. ووقفت الصحافة النجفية من الشيوعية موقفاً معادياً قوياً مشابهاً لموقف رجال الدين، كما عاداها الكثير من المثقفين والكتّاب، ما عدا مجلة **"المثل العليا"**، التي صدر العدد الأول منها في 15 تشرين الأول1941، فقد بدأت تتناغم مع الفكر الشيوعي، وكانت تنقل وجهة النظر السوفيتية من الأحداث السياسية والحربية[43].

وكذلك تناولت الصحف النجفية النظرية الماركسية بالهجوم والنقد اللاذع، فسلطت (**مجلة القادسية**) الضوء على انتشار خطر الشيوعية في العراق , وأنّها تدعو أيضاً إلى تفكك الروابط العائلية وانحلال الأسرة، وأكد كاتب يحتم على العرب مكافحة المبدأ الشيوعي، أما مجلة الشعاع فأوردت في مقال بعنوان (الشيوعية اليهودية) ، ولا نريد أن نناقش هنا صحة هذه الآراء. كان الحزب الشيوعي في العراق يثقّف عناصره ضد الوطن القومي لليهود، ولما أصدرت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين عام 1947، واعترفت القيادة السوفيتية بالقرار، أدّى ذلك إلى انقسام في صفوف الشيوعية، واتهم هؤلاء الشيوعية بالابتعاد أو التخلي عن مبادئ الماركسية[44].

وطالبت الصحافة النجفية رجال الدين، مناشدة إياهم، بالتدخل لمكافحة داء الشيوعية، وأكدت مجلة القادسية في مقال عن واجبات رجال الدين، أنّ «الواجب على رجال الدين اليوم أصعب وأعسر لأنهم ملزمون أن يهدموا بنياناً رصيناً من الفكر»، وأكد حجة الإسلام السيد جعفر بحر العلوم من خلال فتوى أصدرها ضد الشيوعية، ونشرتها مجلة العدل الإسلامي في 14 نوفمبر 1947 أنّ هذا الفكر (يتعارض مع تعاليم الأديان كلها)، ولهذا، فإن (على كافة المسلمين في سائر الأقطار والأمصار أن يكافحوا هذا المذهب الهدام جهد طاقتهم)[45].

أما فتوى المجتهد (الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء)، فكانت أشد قسوة بحق الشيوعية، إذ أعدها مبدأ هداماً لكل المقدسات والقوانين، وأنّ التهاون معها (من أعظم المحرمات وأكبر الكبائر)، داعياً زعماء العشائر والقبائل لمكافحة وتحطيم هذا الكفر، وحذر (كاشف الغطاء) من نمو هذا الداء الخبيث في العراق[46].

وكان رأي مسؤول بريطاني في رسالة مؤرخة 20نيسان 1949، موجهة إلى مدير الشرطة العراقية، أنّ الشيوعية لن تقتلع من جذورها بالطرق البوليسية وحدها، وكان من بين الطرق التي أوصى بها (المعالجة الدينية)، وقال: (إنّ الشيوعية معادية للدين أصلاً.. وعلى الرغم من أنّه يبدو أنّ الشيوعيين في العراق بذلوا جهدهم لعدم إثارة مسألة الدين، فإنه يبدو أنّ هذه المسألة قد تفيد الحكومة ضدهم)[47].

وفي وقت لاحق، 6تشرين الأول 1953، قام السفير البريطاني في العراق (السير جون تروبتيك)(Sir John Troptic) ، بزيارة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في مدرسته بالنجف، وناقش معه مسألة (العدد المشترك الذي انتشرت دعايته السوداء على نطاق واسع إلى درجة أنّ خلايا عديدة تضم شباباً مندفعين ومتحمسين تنمو اليوم في هذه المدينة

نفسها- أي النجف- التي هي مركز الإسلام والقدسية). ويضيف حنا بطاطو أنّ الشيوعيين بدورهم لم يكونوا غافلين عن محاولات تعبئة القوى الدينية ضدهم ؛ ولهذا فقد تجنبوا بطريقة مدروسة توجيه حتى أصغر اساءة إلى معتقدات الناس، والواقع أنه منذ العام 1929، ابتعد الشيوعيون كلياً عن موضوع الدين، وإن دار في سجن بعقوبة، الذي كان يضم عام 1954 قسماً كبيراً من النواة الصلبة لكادر الحزب، جرى جدل حول الاستفادة من تجمع الجماهير في (الأربعينيات الحسينية)، وهي مسيرات العزاء بذكرى عودة رأس الحسين عليه السلام، وفي اليوم الأربعين لمقتله، وتوافق العشرين من شهر صفر، وتجتذب عادة حشوداً كبيرة من الزوار، واعترف الشيوعيون أنّ المؤشرات تدلّ على أنّ هذه التجمعات والمسيرات، (لن تزول أو تتراجع في المستقبل القريب، وعلى العكس من ذلك، فإنّها تزداد نمواً سنة بعد سنة، ومن المؤكد أنّها سوف تستمر حتى بعد اقامة الديموقراطية الشعبية في العراق. إنّنا بمهاجمتنا لمعتقدات يجب- عند الحاجة- أن ندافع عنها بدلاً من أن ننبذها للتو، إنّما نعزل أنفسنا عن جماهير الشعب الكادحة)[48].

وكان الشيوعيون العراقيون في السجن طرق وسائل بديلة من القضاء على الشعائر الدينية بل استخدامها لنشر الشيوعية من خلال طرح عدة اليات لذلك (إذا كان يستحيل اجتثاث المسيرات الحسينية، فهل نستطيع تحويلها إلى شيء مفيد؟ أو لطرح سؤال أكثر صلة بالموضوع: «هل من مصلحتنا- في الوقت الراهن على الأقل- إضعاف هذه المسيرات، وخصوصا مسيرات كربلاء والنجف؟ معروف أنّ بإمكان الشيوعيين- والثوريين عموماً- أن يؤثروا على قسم من الجماهير وإقناع هؤلاء بالامتناع عن الذهاب إلى كربلاء والنجف والكاظمية، فهل يصح أن نفعل ذلك؟ أنا لا أعتقد ذلك».. في بلد كالعراق، تمنع قوانينه الرجعية والفاشية التجمعات والتظاهرات إلا لأغراض دينية.. من واجبنا أن نفكر جدياً لاستفادة من هذه الإمكانات القانونية لصالح الحركة الديموقراطية ولقضية السلام وخوفاً من إثارة غضب الدوائر الرجعية، فإنّ الحكومة ستتردد طويلاً قبل التدخل بشأن المسيرات.. إنّ الخط الصحيح بالنسبة إلينا هو تحويل المسيرات إلى سلاح للحركة دون تجاهل محاربة الممارسات والتقاليد الأكثر رجعية المترافقة معه"[49].

كما وقف الحزب الشيوعي ضد المعاهدات الجائرة وسياسة الأحلاف والتكتلات العسكرية، ولكن قرار التقسيم اثار انقسامات داخل الحزب الشيوعي في النجف[50].

كان(الحزب الشيوعي النجفي) ويتسم هذا الحزب بانتماء الفقراء إليه، لأنّهم وجدوا الشيوعية خلاصهم من أوضاعهم المتردية، وقد ازدادت قوة هذا الحزب بعد انضمام مجموعة من أبناء رجال الدين، الذين كان لهم دور بارز، مثل(حسين احمد الرضي)الملقب(سلام عادل) المتأثر بمجتمعه وقيمه، فقد عمل على وحدة الشيوعيين، ليس في النجف الأشرف فحسب بل العراق بصورة عامة[51].

لقد استمر(الحزب الشيوعي النجفي) بإدارة شؤونه، وزيادة إتباعه، على الرغم من سطوة السلطات الحكومية، والفضل ذلك يعود إلى(حسين احمد الرضي) الملقب ب(سلام عادل) الذي أخذ هذه المدة التركيز على ريف المحيط بمدينة النجف الأشرف، محاولة منه لربطه كتنظيم مع مدن المقدسة(النجف وكربلاء والكوفة) ؛ لأنّها مدن ذات تأثير ديني على عقلية ذلك الريفي، وقام الشيوعي النجفي (حسن عوينه) بإصدار صحيفة باسم الفلاحين عرفت(صوت الفلاح) عام ١٩٥٤ , واستمرت حتى ثورة 14 تموز عام ١٩٥٨ لتصبح علنية، ومقالاتها مكتوبة بمساعدة شيوعي نجفي آخر يدعى (باقر إبراهيم الموسوي) الذي كتب بمستوى الثقافة الشعبية، وكان بعضها باللهجة العامية[52].

لذلك كان شيوعيو النجف يسعون دوماً إلى تثبيت كيانهم في المجتمع النجفي فعمدوا إلى إشاعة روايات تساعد على تثبيت كيانهم السياسي من خلال إتباع نهج الإمام (علي بن أبي طالب)(عليه السلام)، والإيحاء بان كلمة الشيوعية، تعني(الشيعة) , وهي كلمة جديدة مطورة وعصرية. وقد جذبت هذه الدعايات العشرات من أهالي النجف للشيوعية , فضلاً عن أسباب أخرى، ساعدت على جذبهم تمثلت بأنّ معظم أهالي النجف كانوا يبحثون دوماً عن إطار سياسي متحرك يمكنه أداء دور السياسة ، وقد رافق هذا الامتداد الشيوعي إلى الريف، محاولات حثيثة لاستغلال المناسبات الدينية واحتفالاتها، والانتشار من خلالها أو حتى العمل على إقامة بعضها، بغية نشر الشيوعية وأفكارها، وتحقيق أكبر قدر من الكسب الجديد. وراحت المنشورات السياسية، توزع فيها بصورة متزايدة . وكانوا ينطلقون عملهم من مبدأ أنّ الدين الإسلامي دين ثوري , وذو ملامح اشتراكية، مستندين رأيهم هذا إلى رمز هذه الثورة الإمام(الحسين بن علي)(عليه السلام) مؤكدين أنّه استطاع أن يحرّك الناس ويثيرهم ويقودهم، حتى أنّهم أخذوا يقارنون بين عدالة واشتراكية (أبي ذر الغفاري) واشتراكيتهم، ومقارنة العدل الاجتماعي، والمساواة، والإخوة التي يسعون اليها، وما جاء بالتراث الشيعي[53].

والراجح أنّ سبب تركيز (الحزب الشيوعي النجفي) هذه المدة على مدينة النجف الأشرف وما يحيط بها، هي أنّ هذه المدينة المقدسة، تتمتع بثقل جماهيري واسع يتوزع بين أهلها والزائرين لمرقد الأمام (علي بن أبي طالب) (عليه السلام) ومقبرة وادي السلام، فضلاً عن وجود طلبة العلوم الدينية، ولاسيّما أنّهم ينتمون إلى جنسيات مختلفة من العالم الإسلامي، فرفعت هذه المدة شعارات شيوعية إلى جانب شعارات المناسبات الدينية، لاسيّما أنّ شعارات الشيوعيين كانت توزع على جميع من كان يحضر تلك المناسبات[54].

ومما لاشكّ فيه أنّ هذا الأمر، قد دفع (الحزب الإسلامي السياسي النجفي) إلى الشعور بأنّ التدين ووجوده بات خطر، فأخذوا يتحركون بحذر، وتردد، صفوف المجتمع النجفي عام ١٩٥٤، وقد اتسم تحركهم بالتثقيف الديني، محاولة منهم للاستحواذ على أكبر عدد ممكن من عقول الناس، وإرجاع من يتمكنوا من إرجاعه إلى حزبهم والسعي إلى إثبات الذات الثقافي الإسلامي[55].

إلى جانب تصاعد الفوارق الطبقية الاقتصادية المتنامية، وظهور فوارق طبقية اجتماعية المجتمع النجفي ، كل ذلك خلق تمايزاً بين أبناء هذا المجتمع، وقد أكّد(محمد حسين الصغير) أحد المعاصرين لتلك المرحلة، على أنّ فقراء النجف الأشرف قد شكلوا طبقة، فوجدوا شعارات الشيوعية من(العدل والتكافل والمساواة) وسيلة للخلاص من فقرهم. وكان لوجود فئة من الشباب المتعلم المدارس التعليمية الحديثة، ذات النمط العلماني، اثر توليد شعور متواصل بأنّ لديهم القدرة على تبوء مواقع متنفذة بالسلطة لكون مدينتهم النجف الأشرف تعد عاصمة التشيع العالم الإسلامي، وأخيراً توفرت الرغبة لدى معظم أهالي النجف تغيير بنية السلطة، وإيجاد نظام سياسي جديد في العراق، وهو هدف اساساً سعت إليه الشيوعية الغاء النظام الملكي[56].

إنّ هذه الأسباب أدّت إلى ازدياد عدد الأهالي المنتميين للشيوعية , ولاسيما بعد توافر عشرات الكتب الشيوعية مكتبات المدينة وأرصفتها، فضلاً عن انضمام أبناء عوائل نجفية معروفة تدينها وتحفظها من أمثال(ال سيد سلمان) وابنهم سيد علي , و(آل الجواهري) وابنهم محمد مهدي , و(آل رضي) وابنهم (محمد حسين)، فضلاً عن رجال الدين، كالسادة(محمد حسن الطالقاني وكاظم القزويني), و(ابراهيم ابو شبع وعبد الحسين ابو شبع)، والشيوخ (عبد الحليم كاشف الغطاء , ومحمد القائيني

الملقب بالفاضل , ومجيد زاير دهام , ومحمد الشبيبي)، والذين زادوا (الحزب الشيوعي النجفي) قوة ونشاطاً" , وكان السيد(صاحب السيد جليل الحكيم) يُعدّ من الكوادر الحزبية , هو وشقيقتاه(رفيقة وزهراء)، والأخيرة زوجة الشيوعي النجفي(حسن عوينة)، وهو دليل على قوة وجذور الشيوعية في المجتمع النجفي، إذ وصل الأمر إلى جعل أحد البيوت النجفية بما يسمى عند الشيوعيين ب((البيت الشيوعي)) , وهو بيت (نرجس الصفار)الذي كان مركزاً" لاتخاذ القرار والحركة للحزب الشيوعي، وكان شيوعيو النجف غير متشددين، ورافضين لحال الخمول الذي أصاب الشيوعية العراق[57].

وتبين ان شيوعيي النجف، كانوا يتولون مسؤولية الشيوعية لمنطقة الفرات الأوسط. فقد شغل هذا المنصب عام ١٩٥٤ (سلام عادل) فضلاً عن كونه عضو اللجنة المركزية[58].

وبالنسبة للمكون الآخر لشيوعي النجف، فتمثل بمنظمة (راية الشغيلة ١٩٥٣) التي عرفت بالتنظيم الانشقاقي، الساعية إلى انتشال الشيوعية في العراق من العجز والتدهور، وهي الأفكار التي نشروها المناسبات الدينية، لا مدينة النجف الأشرف فحسب، بل معظم مدن وقرى الفرات الأوسط، وعرفوا ب(الجمالية) نسبة إلى مؤسسها البغدادي الكردي (جمال الحيدري) , بينما عرف شيوعيو النجف من المنتمين (الحزب الشيوعي العراقي) بـ(الباسمية) نسبة إلى الاسم الحركي لبهاء الدين نوري (باسم)) , ويرجع فضل تأسيس منظمة (راية الشغيلة) إلى (جمال الحيدري) وأعضائها(نرجس الصفار , وحسن عوينه , وعبد الامير الخياط , وحسين سلطان , ومحمد ابو كاله , والشيخ محمد الشبيبي , وناجي جليل الحكيم).وكانوا على خلاف مع (الحزب الشيوعي مدينة النجف الأشرف) بالرغم من وجود قرار يحارب الشيوعية العراق بشكل عام وهو قانون(١٧) القاضي بأحقية مجلس الوزراء، إسقاط الجنسية العراقية عن الشيوعيين بغض النظر عن أنواع تنظيماتهم وتشكيلاتهم[59].

وحينئذ راحت السلطات الحكومية تطلق على شيوعي النجف تسمية(الشيوعيين الخطرين) كناية عن دورهم النشط في الحركة الوطنية، وتوقع بهم أشد العقوبات، ومع ذلك، مارس الشيوعيون النجفيين نشاطهم وبسرية مستغلين دهاليز بيوت المدينة. أما الاجتماع الواسع، فاعتادوا عقده في أحد البساتين المحيطة , ولاسيّما بساتين الكوفة التي عقد فيها مؤتمر (أنصار السلام) ١٩٥٤ والذي حضره أربعون شيوعياً من مدينة النجف الأشرف[60].

كانت السلطات الحكومية، منذ تأليف حكومة(نوري السعيد) الثانية عشر في آب ١٩٥٤ تطلق لقب شيوعي على كل من لا ترغب فيه، ولعلّ مما زاد تنامي(الحزب الشيوعي النجفي) استغلال ضعف سطوة الحكومة من جهة، وكثرة المنتمين من الأوساط الاجتماعية المختلفة التي وفرت الحماية له ذا الحزب من جهة أخرى، وظهر من مدينة النجف الأشرف قيادات شيوعية رافضة لاستبداد الحكومة وتعمل على مواجهتها بالقوة، عرفوا بأنصار الشيوعية الصينية، وكانوا القلة من شيوعيي النجف، المؤمنون بالكفاح المسلح، من أمثال رائدهم (حسين روضة). الذي رفض استبداد السلطة، انشق عن الشيوعية مدينة النجف الأشرف، وامن بقدرة الفلاحين على التغيير[61].

وفي عام ١٩٥٥ ازدادت نسبة أعضاء القيادات العليا من الشيعة إلى(الحزب الشيوعي العراقي) , إذ ارتفعت نسبة انتمائهم إلى ٤٧ % عام ١٩٥٥ بعدما شكلوا نسبة انتماء لا تتجاوز ٢١ % عام ١٩٤٩ من عموم تلك القيادات ويبدو أنّ

الفضل ذلك، يرجع إلى دور الشيوعي النجفي(حسين احمد الرضي) وجهوده توحيد وتطوير بناء(الحزب الشيوعي العراقي)، فضلا عن بناء تنظيم شيوعي منسق مدينة النجف الأشرف. إذ كان كل محلة أربع تنظيمات، وكل تنظيم مسؤول عن خلية من الخلايا المنتشرة في شوارع وأزقة المحلة، وهذه الخلية مسؤولة هي الأخرى او مشرفة على عدة حلقات. ولا يشترط أعضائها إن يكونوا من المنتمين إلى الشيوعية، وإنّما من أصدقاء الشيوعية، وكان(للحزب الشيوعي النجفي)، فريق رياضي لكرة القدم يدعى(النهضة) وساحتهم خلف منطقة الحويش[62].

ولكن برز الشيوعي النجفي(حسين احمد الرضي) المتمتع بمستوى ثقافي جيد، ومتمسك بتقاليد المجتمع العراقي، ومتفهم لواقعهم، فضلاً عن تفضيله النهج الشيوعي السوفيتي، وبسبب فراسته، استطاع جمع شمل الشيوعيين العراقيين حزب واحد. فاتصل مع منظمة (وحدة الشيوعيين) ووافقوا على الدمج مع (الحزب الشيوعي العراقي) ٢٥ نيسان ١٩٥٦ ، واتصل بجماعة(راية الشغيلة) ووافقت على الدمج في ١٣ حزيران ١٩٥٦ ، وبذلك استطاع من تكوين تيار شيوعي عراقي[63].

وبهذه النتيجة السياسية يكون (الحزب الشيوعي النجفي) قد توحد، وأصدر (حسين احمد الرضي) بياناً ١٧ حزيران ١٩٥٦ , أكد فيه حل المنظمات الانشقاقية , وقرّرت اللجنة المركزية تبديل اسم(القاعدة) الجريدة الرسمية للحزب باسم(اتحاد الشعب) تعبيراً عن توطيد وحدة الحزب التنظيمية، وعن المهمة الرئيسة للحزب توحيد قوى الشعب الوطنية[64].

أما المنهج الشيوعي مدينة النجف الأشرف، فقد كان شيوعيو النجف يميلون في برامجهم وخطواتهم إلى النهج الشيوعي السوفيتي، وكانت افكارهم تتبع(الحزب الشيوعي السوفيتي), لاسّيما أنّ هذا الحزب يدعو إلى التحرر من السيطرة الغربية، وتحقيق الامن، والسلام، وأصبح (للحزب الشيوعي النجفي) بعد هذه المدة علاقات قوية مع(حزب تودة) (الحزب الشيوعي الايراني)الذي يطبق النهج الشيوعي السوفيتي، ويبدو أنّ هذه العلاقة هي التي وجهت أنظار شيوعيي النجف، تسير باتجاه الاتحاد السوفيتي[65].

وبعد عام ١٩٥٧ ازداد عدد الأهالي من مدينة النجف المنتمين(للحزب الشيوعي النجفي) ويبدو أنّ السبب ذلك يعود إلى:-

أولاً: وفاة (صالح جبر) عام ١٩٥٧ الذي كان يمثل جانباً واسعاً من التوجه السياسي الشيعي عند السلطة.

ثانياً: ثمرات التعليم العلماني الذي تلقاه شباب النجف منذ تأسيس الحكم الوطني العراق.

وأصبح الحزب الشيوعي النجفي بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ حالة من الثبات، والشعبية المتنامية التي وضعت الشيوعي النجفي مرحلة يطالب فيها بتلبية طموحه بالمشاركة السياسية وقد ضم (الحزب الشيوعي النجفي) بين صفوفه واحدة من الشيوعيات النجفيات الناشطات وتدعى (زكية عباس سلمان) التي كانت حلقة وصل بين الشيوعيين في بغداد والنجف الأشرف، واعتادت في سفرها أن تحمل تعليمات بغداد وشؤون (الحزب الشيوعي النجفي). وكان السبب اختيار هذه الشخصية أنّها امرأة بعيدة عن شكوك السلطة , اجتمع الشيوعيون العراقيون بعد ثورة تموز ١٩٥٨ ، وأطلقوا على اجتماعهم ب(موسم أيلول) , وكان لشيوعيي النجف حضور بارز فقد ؛ فاز(حسين احمد الرضي) بمنصب (سكرتير أول

للجنة المركزية) , فضلاً عن فوز(صالح كاظم الرازقي) بمنصب (مرشح اللجنة المركزية) , و(مسؤول لجنة تنظيم الفرات الأوسط) , واستمر شيوعيو النجف متكتلين مع خط زميلهم(حسين احمد الرضي) , ولاسيما الاتجاه الجديد، وهو المشاركة بالسلطة مستغلين حاجة رئيس الوزراء(عبد الكريم قاسم) إلى التأييد الشعبي، والعسكري العام اللذين يمتلكهما الحزب الشيوعي بشكل عام، واخذوا بالانجرار وراء السلطة، فاتبع بعض رجاله أفكاراً جديدة وأيدلوجيات لا تنسجم مع الظروف الجديدة التي يعيشها الفرد العراقي[66].

كان قيام ثوره 14 تموز 1958 عهداً جديداً من الحريات العامة . وانتعاش النشاط السياسي والحزبي بكل اتجاهاته، ولا سيّما الحزب الشيوعي العراقي، ولكن المواقف المتشددة تجاه رجال الدين والمؤسسة الدينية ، ثم تطور الأمر إلى الاحتكاك المباشر بالمرجعية الدينية , وممثليها حين اخذ الشيوعيون يطرحون إلى الشارع مجاميع من الكتب ذوات العناوين المشككة والمستفزة لمشاعر الدين , وكانت عناوين الكتب ومنشورات انتشرت (الله في قفص الاتهام) , و (واين الله) , و(اصل العائلة)[67].

إضافة إلى الاستهداف المباشر للصحف والمنشورات المرتبطة بالحزب الشيوعي للعقائد الدينية والتقاليد والعادات التي درج عليها المجتمع العراقي، مما أثار موجه عارمة من السخط والاستنكار بين مختلف الفئات الاجتماعية ضد الحملة على الدين وأهله، وبسبب التصرفات الشيوعية حيث أشاد الخوف والقلق الأسر والعوائل الدينية وبخاصة في مدينة النجف الأشرف[68].

وعلى اثر ذلك تواردت الاستفتاءات على الحوزة الدينية وهي تطالب بتحديد موقف الشرع الإسلامي من العقيدة الماركسية , ومن الانتماء إلى الحزب الشيوعي العراقي، وجاء الرد من الإمام الأكبر السيد محسن الحكيم في فتواه التي أصدرها في يوم 12 شباط :" لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي ؛ فإنّ ذلك كفر وإلحاد". وأيّد الفتوى أغلب كبار العلماء، ونشرت نصّ الفتوى في جريدة الفيحاء البغدادية لسان الحزب الإسلامي في عددها الصادر يوم 13 شباط 1960، وكان لشيوع النبأ ولسرعة انتشاره تأثير كبير على قيادة الحزب الشيوعي العراقي التي فقدت جانباً ضخماً من رصيدها المعنوي بين شرائح اجتماعية كانت محسوبة على الشيوعيين كما أنّ أثر الفتوى سرت إلى خارج العراق[69] .

جاءت الفتوى لتخلق جو من الحصار على الحزب الذي أخذ بالتراجع والانحسار على الصعيد الشعبي، إذ شجّعت هذه الفتوى ارتفاع اصوات الكثيرين ضد الحزب , واستفاد منها الخصوم السياسيين في محاربتهم، ووجدت تجاوباً لدى الاواسط الشعبية الشيعة والسنية , وحتى المنتمين للأحزاب الاخرى كالقوميين، وأربعة علماء السنة الكرد تأييد للفتوى، وكانت تمثل بحق أخطر ضربة توجه إلى الحزب وأقواها[70].

وقد أدرك الشيوعيون أنّ نفوذهم أخذ بالتقلص بسبب المجابهة مع المؤسسة الدينية وامتداداتها , فاتجهت جهودها للبحث عن وسائل يمكنها أن تحدّ من فاعلية المفاصل المتحركة في المؤسسة الدينية، فقرّروا انشاء تجمع مشابه يضم بعض رجال الدين المرتبطين بالحزب الشيوعي العراقي اطلقوا عليه اسم (جماعة رجال الدين الاحرار) , مهمته أن يقف بالضد من جماعة العلماء , ويشل من فاعليتها والتشكيك بجماعة العلماء، فما كان من الإمام الحكيم وباقي العلماء , إلا أن اصدروا تأييدهم لجماعة العلماء[71].

وعلى إثر ذلك بدأت الصحف الشيوعية بالتجاوز على المؤسسة الدينية وعلى شخصية المرجع الحكيم , مما ولّد استنكاراً عاماً في العراق لهكذا تجاوزات , وتطالب الحكومة بإنزال العقوبات بالحزب الشيوعي، كلّ تلك المواقف بالإضافة إلى الأخطاء الكثيرة التي ارتكبها الحزب الشيوعي دفعت السلطة إلى ايقاف جريدة اتحاد الشعب في الأول من تشرين الأول 1960، وفي عام 1961 أصيب الحزب الذي لم يحصل على اذن مزاولة نشاطه بنكسة شديدة عندما اعفي وزيران مواليان للشيوعية هما ابراهيم كبة , ونزيه الدليمي من منصبيهما , غير أنّ الحزب استمر في نشاطه حتى آخر عهد عبد الكريم قاسم، حاول عبد الكريم قاسم بعد الاجراءات التي اتخذها اتجاه الحزب الشيوعي التقرب من المرجعية الدينية، محاولاً الحصول على الدعم بعد أن بدأت شعبية الحزب الشيوعي بالتراجع[72].

بينما كان نشاط الحزبين القومي والشيوعي، سياسياً" مرتبطاً" بمصر والاتحاد السوفيتي، كإسقاط حلف بغداد، وتغيير النظام الملكي، وتحول بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ولغاية ٨ شباط ١٩٦٣ إلى صراع على السلطة، وصراع داخل تلك الأحزاب السياسية[73].

أما الاتجاه(الليبرالي) فقد كان محدوداً تمثل بنخب قليلة مؤيدة وداعمة لتوجهات(الحزب الشيوعي النجفي) , وهم من أنصار(الحزب الوطني الديمقراطي)،وأعضاء هذا الاتجاه مدينة النجف الأشرف السادة (محمد رضا السيد سلمان) , و(عبد الباقي الجزائري) , و(جابر المؤمن الموسوي). ولم يبتعد ليبراليي النجف عن طريق اليسار بشكله الكامل، إلا عام ١٩٥٦ لينضموا إلى الحزب القومي , ويشكلوا(حزب المؤتمر الوطني) , ويبدو أنّه انضمام سياسي لا عقائدي بسبب المصلحة التي تستدعي الوحدة مع الحزب الأقوى بعد أحداث ١٩٥٦ على مصر، ووأضح أنّ هذا التذبذب يؤكد على أنّهم تيار ضعيف، بدليل أنّ أغلب نشاطاتهم كانت قد جرت ظل جناح(الحزب الشيوعي النجفي)[74].

وبعد الانشقاقات التي أصابت(الحزب الوطني الديمقراطي)عقب ثورة تموز ١٩٥٨ ، وانقسامه على ثلاثة أحزاب محمد حديد(اليسار) , هديب الحاج حمود(الوسط) , كامل الجادرجي(اليمين))، فقد اختار ليبرالي النجف اتجاه(كامل الجادرجي اليساري) ؛ وسبب ذلك فيما يبدو، يعود إلى الايمان بـ(الاشتراكية الإصلاحية) بوصفها منقذاً" للعراق، وهو أيمان(كامل الجادرجي) نفسه[75].

المطلب الثالث

العوامل والأسباب لظهور الحزب الشيوعي في النجف الأشرف

وتجدر الإشارة هنا إلى ضعف سلطة المرجعية في العراق الذي حدث بالتوازي بين عامي 1921 و 1950 ، ارتبط بعوامل عدة وإن كانت مختلفة، ولاسيّما أنّ ظهور الدولة القومية الجديدة في العراق عام 1921 وهيمنة النخبة السياسية السنة فقبول بخيبة أمل وسخط، ولم تتحد سلطة المجتهدين فحسب، وبخاصة بعد المعارضة الشديدة من قبل المجتهدين الكبار في العراق، ولاسيما أبا الحسن الأصفهاني , ومحمد حسين , ومهدي الخالصي للانتخابات الوطنية والتصديق على المعاهدة العراقية– البريطانية لعام 1922 نقطة تحولوا في قوة المرجعية، انتهت هذه المعارضة بانسحاب كامل من المشهد

السياسي العراقي. والأهم من ذلك أنّها أدّت إلى تقويض مكانتهم بين الشيعة في العراق. رد الفعل غير المتحمس الذي تلقاه العلماء من أتباعهم شجع الحكومة العراقية على القيام بأعمال عدائية ضد المجتهدين، وتهديديهم بتهجيرهم إلى ايران. اتسعت الهوة بين المجتهدين وأتباعهم الشيعة عندما تنازلا لأول للحكومة العراقية ،واتفقوا على شروط عدم التدخل في الشؤون السياسية المستقبلية[76].

فيما يرى حنا بطاطو أنّ هناك عوامل كثيرة ساعدت وأسهمت في اعداد التربة التي نمت فيها الشيوعية في العراق , ففي الوقت الذي كانت فيه المؤسسات القائمة لا تلبي طموحات شريحة واسعه من أبناء الشعب , كان الشيوعيون المنجنيق الظاهر ضد السلطة القائمة فضلاً عن بقاء الاستياء السياسي حتى عقد الاربعينات قد أصبح اجتماعي في اواخر الاربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي , وبات ضد النظام الاجتماعي برمته وليس ضد حكومة معينة إلى جانب تنامي الاستقطاب الاجتماعي والوعي الطبقي وعدد الطبقة الكادحة التقديم ما تشكو من مظالم بطريقة قانونية وكان العمال مستبعدين عن السلطة السياسية وطريق الاصلاح كان مسدوداً والطبقات المتأثرة بالأفكار الشيوعية لم تكون تتزايد فحسب بل كان التمويل إلى التمركز وبدرجه كبيره بالمعنيين الجغرافي والوطني[77].

لا يمكن القول إنّ الفكر الشيوعي كان مقبولاً من علماء الدين أو أنّهم كانوا يتغاضون انتشاره وحركته داخل للعراق في بدايات القرن العشرين، بل لم يكن مرحباً به منذ البداية[78].

واذا تلمسنا المحاولات الأولى للوقوف بوجه الشيوعية وصدها من قبل علماء الدين المسلمين نجد أنّ المفتي الاكبر للأزهر في مصر الشيخ محمد بخيت افتى ضد الشيوعية في عام 1919 , وكان لهذه الفتوى اثرها العكسي في زياده معرفه الناس بها بعد أن بدأت الصحف المصرية بالكتابة عنها ، اما في العراق فانّ الشيوعية راحت تنتشر على نطاق واسع متغلغلة في أكثر الأماكن مستفيدة من الشعور المتعاظم بالظلم من أغلب الفئات الشعبية التي باتت تنظر إلى النظام السياسي القائم على أنّه يمارس سياسة تمييزية واضحة يستبعد الجيل الجديد من المتعلمين من العملية السياسية , وهذا ما ينطبق على الشيعة بوجه الخصوص حتى توجه الكثير من هؤلاء إلى اعتناق الشيوعية لاسيما في اواخر الاربعينات وإبّان الستينات من القرن العشرين[79].

والحقيقة التي لابدّ من دراستها انتماء الكثير من الشباب في مناطق الجنوب والفرات الأوسط وبالخصوص النجف الأشرف إلى الحزب الشيوعي يشير إلى محاولات ابناء هذه المناطق البحث عن اطار سياسي يمكنهم من لعب دور في العملية السياسية ؛ ولأنّ الفكر الشيوعي ركّز على مبادئ تعلق بالمساواة بين أبناء الشعب وفئاته العرقية المختلفة , وأكّد على بعض الحلول المطلوبة لتغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في العراق ؛ حتى بات أبناء المناطق الجنوبية ينظرون إلى الشيوعية كأداة يستطيعون إحداث التغيير المطلوب من خلالها , بعد أن سدّدت عليهم منافذ الوصول إلى السلطة [80].

استمر النفوذ الشيوعي بالانتشار بشكل واسع حتى أُدخل إلى المرجعية الدينية ومقرها مدينة النجف الأشرف , وكان الأمر أكثر اثارة للمؤسسة الدينية في النجف الأشرف التي وجدت نفسها امام تحدي حقيقي خاص بعد أن تأثّر الكثير من أبناء الأسر الدينية المعروفة بالمدينة بالفكر الشيوعي وبدء بعد ذلك طلبة الحوزة العلمية الدينية هذا الفكر ، فعلى سبيل المثال المفكر اليساري حسين مروه وهو من أصل لبناني قد أرسلته عائلته إلى النجف لدراسة العلوم الدينية, حيث تحوّل فكره لاعتناق الفكر الشيوعي ويصبح من أبرز منظريه[81] ، إضافة إلى انضمام الكثير من رجال الدين إلى حركة أنصار السلام ذات التوجه الماركسي , وكان ذلك باعثاً للخوف والقلق عند المؤسسة الدينية التي بدأت تشن حملات عنيفة ضد الفكر الشيوعي لإيقاف تقدمه القوي , حتى أنّ الصحف النجفية بدأت في أواخر الاربعينات من القرن العشرين تشن حملات منظمة عنيفة ضد النشاط الشيوعي. وتتهم بالإباحية متناوله الشيعي بأقبح الالفاظ التصدي الأوضح للنشاط الشيوعي من المجتهد المصلح الشيخ محمد كاشف الغطاء , عندما أصدر عام 1948 منشورات شديدة حرّم فيها الشيوعية والانتماء إليها , ولكن اثّر هذا المنشور أي الفتوى وزعت في انحاء العراق لم يكن فاعلاً في ايقاف المد الشيوعي[82].

وكانت هناك ظروف أكثر خصوصية برهنت على أنّها العون الاكبر لنشاط الشيوعيين في النجف ، ونذكر منها أنّ الكثير من الشيوعيين الناشطين في النجف كانوا من أبناء العلماء او من أقاربهم الحميمين , أو طلبة العلوم الدينية , أو المفكرين الإسلاميين ، ويشكّل هؤلاء طبقة ذات نفوذ كبير على الشرطة المحلية والمسؤولين الاداريين، ويعزّز قولنا هذا ما أوضحه الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء للسفير البريطاني عام 1953 من أنّ (الشيوعية قد انتشرت في العراق حتى دخلت بيوت أهل الدين والزعماء الروحانيين ...) ، ولم يكن الشيوعيون غافلين عن محاولات تعبئة القوى الدينية ضدهم ،

لهذا فقد تجنبوا بطريقة مدروسة توجيه حتى أصغر إساءة إلى معتقدات الناس ، وابتعدوا كلياً منذ مطلع الثلاثينات عن موضوع الدين [83].

ربّما لأن الشيوعيين كانوا في تلك المدة يعيشون في أوج قوتهم التنظيمية كما وقف الشيخ عبد الكريم الزنجاني وهو أحد المجتهدين في النجف ضد الفكر الشيوعي , وفي عام 1954 زار السفير البريطاني في العراق جون تروبتيك الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بمكتبه بالنجف الأشرف ودار الحديث بينهما حول الفكر الشيوعي وكيفية وضع الحلول الناجحة لمواجهته. وايقاف انتشاره فيما كان كاشف الغطاء صريحاً على تفكير السفير البريطاني أنّ الفكر الشيوعي أخذ بالاتساع نتيجة الشعور بالإحباط والظلم عند الناس , وانعدام فرص التكافؤ والمساواة , وكبر الفجوة داخل المجتمع بين الفقراء والأغنياء , ونبهه كاشف الغطاء إلى أنّ مواجهة الفكر الشيوعي لا يتمّ إلا عن طريق مواجهته بالفكر بدلاً من سياسة العنف ؛ لأنّ ذلك سيقود إلى تقويته , وكان على الحكومة العراقية والبريطانيين من وراءها أن يعملوا على حلّ المشكلات التي يعاني منها العراق , ومع ذلك توفير فرص العمل والاعمار والبناء ورفع مستوى دخل الفرد والاهتمام في المناطق المحرومة في الوسط من العراق بوجه خاص[84].

فيما يذهب حسن شبر، كان الوعي الإسلامي السياسي في النجفي في مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية، قد أخذ بالضعف والانحسار؛ بسبب السياسات البريطانية المقيدة لكل حراك اسلامي، فضلاً عن البيئة النجفية المحافظة التي لا تشجع الإسلام السياسي، الأمر الذي جعل من الساحة النجفية مفتوحة للحركات العلمانية، التي أصبح لها قواعد شعبية، يقابله عدم وجود نخبة إسلامية مثقفة كافية قادرة على فرض تنظيم اسلامي ثقافي[85] .

وتأسيساً على ذلك ، لابدّ لنا من الاعتراف بحقيقة هي في غاية الاهمية ، وتساهم بقسط وافر في الاجابة على الكثير من التساؤلات ، تلك هي أنّ انتماء النجفيين إلى صفوف الحزب الشيوعي لم يكن يعني بتاتاً اقرارهم بمبادئ الالحاد والمادة , وأنّ معظمهم سواء كان ممن ينتمي للشيوعية أم من يؤيدها ويتعاطف معها , كانوا بمعزل عن التفكير بتلك المبادئ ، بل لم يكن لدى العامة منهم (عمال النسيج , والبناء , وطلبة المدارس , وأكثر الطبقات الفقيرة) أية فكرة حول ماهية أصول النظرية الماركسية , أو الفلسفة المادية (السوفسطائية – الدياليكتيكية) ، ولم تدر في خلد أحد منهم مبادئ الالحاد ونفي الربوبية، فهم شيوعيون في الايديولوجية الوطنية، ويعتقدون أنّ ذلك الحزب سوف يخلصهم من الاستعمار والاقطاع

والرجعية والظلم الذي يعانون منه ، وأنّه يناضل من أجل مجتمع مثالي ، تسوده مبادئ السلم والحرية والعدالة الاجتماعية ويخيم عليه الرفاه والتقدم، وأنّ النشاط الشيوعي قد يقوم به أناس ليسوا شيوعيين , ولكنهم مدفوعون من قبل أناس مؤمنين بالشيوعية ، وقد وجدوا ثغرات دخلوا منها ووسعوها , ومنها الفقر وقلة المعلومات , وانعدام العدالة الاجتماعية، وبكلمات أخرى فإنّ النجف عاشت إحدى أحرج فتراتها التاريخية عندما تحولت إلى ميدان من الميادين الرحبة التي استغلتها الحركة الشيوعية ، التي اخذت تقيم المظاهرات في النجف , وتطبع المنشورات , وتتطاول على مناصري الأحزاب الأخرى ، وتقوم بمهاجمة قوات الشرطة في أحيان كثيرة مسببة اضراراً فادحة[86].

إنّ التفسير الظاهر لنجاح الحزب الشيوعي العراقي يمكن في قدرته على استيعاب الأفكار الإسلامية دون أن يكون حركة دينية ضمن خطابه المحلي. حتى أنّ معارضي الشيوعية أعجبوا بالأيديولوجية الشيوعية، مشيرين بشكل خاص إلى قيمها الانسانية دون أن تكون خاضعة لدين معين. اعترف الشيخ محمد مهدي الخالصي في منفاه في ايران بأنّ البلشفية كانت تحظى بشعبية كبيرة بين الايرانيين في أوائل ومنتصف عشرينيات القرن الماضي. وأرجع الخالصي هذه الجاذبية إلى أوجه الشبهبين البلشفية والإسلام من حيث العدالة[87].

الخاتمة

وفي ختام البحث توصلنا إلى استنتاجات ومقترحات عديدة، نبينها في النقاط الآتية:

أولاً/ الاستنتاجات

1- كانت الدولة العراقية التي تمّ إنشاؤها عام 1921 نتيجة لتسوية اللحظة الأخيرة من قبل الإدارة البريطانية والضباط الشريفين على حساب الأغلبية الشيعية. بعد استبعادهم من السلطة الحقيقية في بغداد ، ذهب الشيعة إلى جبهة المعارضة حيث تفرقوا في مجموعات سياسية متنوعة.

2- انخرط جيل الشباب الشيعي بنشاط داخل مجموعات المعارضة ، وله حضور جيد داخل الحزب القومي العربي والأغلبية المهيمنة داخل الحزب الشيوعية. عكس النشاط السياسي للشباب الشيعة شعوراً عميقاً بالاستياء من النظام السياسي العراقي من جهة ، وركود الطائفة الشيعية الدينية في المدن المقدسة من جهة أخرى.

3- منذ منتصف الخمسينيات من القرن الماضي ، أظهر المجتمع الديني الشيعي انخراطاً سياسياً جديداً كرد فعل على المنافسة السياسية الشديدة بين الحزب الشيوعي والاتجاهات القومية. وزاد موقع النجف كحكم وداعم ، مما أعطى العلماء لحظة مناسبة للتعبير عن آرائهم السياسية.

4- كانت الفترة بين 1952 و 1958 مرحلة انتقالية في تاريخ علماء النجف ، حيث أصبح النشاط السياسي أكثر وضوحاً داخل المرجعية الشيعية.

5- فتح الانتقال من النظام الملكي القديم إلى الجمهورية الطريق ليس فقط للأحزاب المتنافسة للتنافس على السلطة ، ولكن أيضاً للمرجعية الشيعية للظهور كجزء نشط في المشهد العراقي.

6- وقد تجلّى هذا الدور الجديد للمرجعية بشكل واضح بعد ثورة يوليو 1958 مع أحداث ثورة الشواف أو الفتوى 12 تشرين الأول 1960 التي حجمت الحزب الشيوعي وبذات الأحزاب القومية تبرز اكثر وظهور تيار اسلامي

7- خرج العهد الجمهوري من حالة الاستقرار السياسي النسبية التي ميّزت العهد الملكي ،ليدخل حالة الفوضى ،فقد افتقدت الجمهورية العراقية الوليدة إلى عامل الاستقرار , وحفزت الجماهير على الحراك والصدام السياسي حيث تحولت الحياة السياسية في النجف الأشرف إلى تصادم وصراع على السلطة، انتكست الحياة الحزبية ،وانتقلت الصراعات الدامية إلى الشوارع ،لاسيما بين البعثيين والشيوعيين.

ثانياً/ المقترحات

الهوامش:

[1]- ذنون يونس الطائي، اثر الأفكار الاصلاحية العربية على المجتمع العراقي حتى 1932، دراسات تاريخية، مجلة بيت الحكمة، بغداد، 2003، ص40-41.

[2]- عدي حاتم المفرجي ، التيارات السياسية في مدينة النجف الأشرف وموقفها من التطورات السياسية في العراق 1954-1963 ، ط1، دار الميزان، بغداد، النجف، 2014، ص59.

[3]- عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، منشورات الثقافة الجديدة، دمشق، ج1، 2002، ص50.

[4]- Fouad Jabir Kadhem, The Sacred and the Secula,The ulama of Najaf in Iraqi politics between 1950 and 1980, As a thesis for the degree of, the University of Exeter Institute of Arab & Islamic Studies,2012 ,P.113.

[5]-Ibid, P.109.

[6]- عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص71.

[7]-المصدر نفسه ، ص118.

[8]- المصدر نفسه ، ص119.

[9]-المصدر نفسه ، ص120.

[10]- المصدر نفسه ، ص121.

[11]- سهيل صبحي سلمان ، التحولات الاجتماعية في لعراق 1945-1958 ، مجلة دراسات تاريخية ، بغداد ، عدد16، 4كانون الأول ، 2003 ، ص34 .
[12]- المصدر نفسه ، ص136
[13]- المصدر نفسه ، ص140.
[14]- سعد مهدي شلاش ، حركة القوميين العرب ودورها في التطورات السياسية في العراق 1958-1966، بيروت ، 2004.
[15]- مقدام عبد الحسن الفياض ، تاريخ النجف الساسي 1941-1958 ، بيروت ،2002 ، ص255.
[16]-Fouad Jabir Kadhem, op.cit ,p.168.
[17]- عادل رؤوف، الصدر بين دكتاتوريتين، المركز العراقي للإعلام، دمشق، 2001، ص 283-284 .
[18]- عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص 239.
[19]- ناجي علوش ،الشيوعيون العرب وحركة التحرر العربي ، مجلة دراسات عربية ، بيروت العدد 1 ، تشرين الثاني 1966 ، ص24.
[20]- المصدر نفسه ، ص25-26.
[21]- Fouad Jabir Kadhem , op.cit,p.141.
[22]- Ibid ,p.142.
[23]- ibid
[24]- عدي حاتم الفرجي، المصدر السابق، ص273.
[25] - حيدر نزار، حيدر نزار سلمان، المرجعية الدينية في النجف الأشرف، ومواقفها السياسية في العراق 1958-1968 ، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت ، 2010، ص100.
[26] - المصدر نفسه ، ص101.
[27] - المصدر نفسه، ص 109.
[28]- ويقصد بالزوار الايرانيين هم من الاشتراكيين العاملين في حقول النفط في روسيا حقول باكو الذين اعتنقوا الأفكار الاشتراكية في اوائل القرن الماضي ونقلوا افكارهم عند رجوعهم إلى ايران بعد فشل الثورة الروسية 1905 وتعاظم شانهم بعد ثوره تشرين الثاني 1917 وهم الرواد الحزب الشيوعي الايراني "توده" 1942. ينظر :
[29]- عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920 ، ط2، دار السلام ، بغداد، 1975، 282.
[30]-عدي حاتم المفرجي ، المصدر السابق، ص69.
[31]-عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ج1، منشورات الثقافة الجديدة، دمشق، 2002، ص90-92.
[32]-المصدر نفسه ، ج1، ص122.
[33]- صلاح الخرسان، صفحات من تاريخ الحركة الشيوعية في العراق، ط1، دار الفرات، بيروت، 1993، ص15.
[34] -حنا بطاطو، العراق، الشيوعيون، الكتاب الثاني، ط1، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، 1992، ص382 – 383.
[35]-هادي حسن عليوي، الأحزاب السياسية في العراق، لندن، 2001 ، ص76 – 77
[36] -Fouad Jabir Kadhem , op.cit,p.132.
[37]- عزيز سباهي، المصدر السابق ، ج1، ص160.
[38]- هادي حسن عليوي، المصدر السابق، ص76 – 77
[39] -سمير عبد الكريم، اضواء على الحزب الشيوعي في العراق 1934-1958، دار المرصاد، بيروت، 1958، ص33-34.
[40]-هادي حسن عليوي، المصدر السابق، ص76 – 77.
[41]- عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، 75.
[42]-هادي حسن عليوي، المصدر السابق، ص75.
[43]- عزيز سباهي، المصدر السابق ، ج3، ص254.
[44]- عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص85.
[45]- عزيز سباهي، المصدر السابق ، ج3، ص255.
[46]-Fouad Jabir Kadhem , op.cit,p.147.
[47]- حنا بطاطو، الكتاب الثاني، المصدر السابق ، ص361.
[48]- المصدر نفسه ، ص363 – 364.
[49]- صلاح الخرسان، الحزب الشيوعي والظاهرة الدينية، مجلة الموسم، العدد(89)، السنة(2011)، ص182؛ حنا بطاطو، الكتاب الثاني، المصدر السابق ، ص363 – 364 .
[50]-هادي حسن عليوي، المصدر نفسه، ص76 – 77.
[51]- عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق ،ص 137.
[52] - المصدر نفسه.
[53]-Fouad Jabir Kadhem , op.cit,p.139.
[54]- هادي حسن عليوي، المصدر السابق ، ص126.
[55]- عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص125.
[56]- المصدر نفسه ، ص126.

[57]- محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر والادب في النجف الأشرف خلال الف عام ،مج3، بيروت ،د.م ،1992 ، ص1044 .
[58]- ثمينة ناجي يوسف ، نزار خالد ، سلام عادل سيرة مناضل ، دار المدى للطباعة والنشر ، 2001 .
[59]- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، بغداد ، 1974 ، ص150 .
[60]- مقدام عبد الحسن فياض ، المصدر السابق ، ص300.
[61]-عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص130.
[62]- المصدر نفسه ، ص 133.
[63]-صلاح الخرسان، صفحات من تاريخ السياسي الحديث(الحركات الماركسية 1920-1990)، مؤسسة العارف للمطبوعات, 2001 ، ص77-78.
[64]- صلاح الخرسان، صفحات من تاريخ السياسي الحديث ، ص 78.
[65]- المصدر نفسه ، ص 76.
[66] -المصدر نفسه ، ص97-98.
[67]- صلاح الخرسان، الحزب الشيوعي والظاهرة الدينية ، ص182.
[68]-المصدر نفسه، ص182.
[69]-المصدر نفسه ، ص183.
[70]- محمد هادي الاسدي، فتوى الامام الحكيم حول الشيوعية، مجلة الموسم، العدد(89)، السنة(2011)، ص127.
[71]- صلاح الخرسان، الحزب الشيوعي والظاهرة الدينية ، ص184.
[72]- محمد هادي الاسدي، المصدر السابق ، ص1132-134.
[73]- عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص307.
[74]- المصدر نفسه ، ص136.
[75]- المصدر نفسه .
[76]-Fouad Jabir Kadhem , op.cit , p.144.
[77] - حنا بطاطو ، العراق، الكتاب الأول، الطبقات الاجتماعية، المصدر السابق، ص89.
[78]- حنا بطاطو، العراق، الكتاب الثاني، المصدر السابق، ص40-44.
[79]- المصدر نفسه، ص26-27.
[80]- حيدر نزار سلمان، المصدر السابق ، 96.

[82]-حيدر نزار، المصدر السابق، ص97.
[83]- المصدر نفسه .
[84] -المصدر نفسه، ص98.
[85]- حسن شبر ، تاريخ العراق السياسي المعاصر(التحرك الإسلامي 1900-1957) ، ج2، دار المنتدى للنشر، بيروت، 1999، ص53.
[86]- مقدام عبد الحسن باقر الفياض، المصدر السابق ، ص301.
[87]- Fouad Jabir Kadhem , op.cit ,p.146.

قائمة المصادر

أولاً/ الكتب

1. ثمينة ناجي يوسف ، نزار خالد ، سلام عادل سيرة مناضل ، دار المدى للطباعة والنشر ، 2001 .
2. حسن شبر ، تاريخ العراق السياسي المعاصر(التحرك الإسلامي 1900-1957) ، ج2، دار المنتدى للنشر، بيروت، 1999.
3. حنا بطاطو، العراق، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد الملكي حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول، ط1، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، 1992.
4. حنا بطاطو، العراق، الحزب الشيوعي، الكتاب الثاني، ط1، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، 1992.
5. حنا بطاطو، العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار ، الكتاب الثالث، ط1، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، 1992
6. حيدر نزار سلمان، المرجعية الدينية في النجف الأشرف، ومواقفها السياسية في العراق 1958-1968 ، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2010 .
7. سعد مهدي شلاش ، حركة القوميين العرب ودورها في التطورات السياسية في العراق 1958-1966، بيروت ، 2004.
8. سمير عبد الكريم، اضواء على الحزب الشيوعي في العراق 1934-1958، دار المرصاد، بيروت، 1958.

9. صلاح الخرسان، صفحات من تاريخ الحركة الشيوعية في العراق، ط1، دار الفرات، بيروت، 1993.
10. صلاح الخرسان، صفحات من تاريخ السياسي الحديث(الحركات الماركسية 1920-1990) ، مؤسسة العارف للمطبوعات, 2001 .
11. عادل رؤوف، الصدر بين دكتاتوريتين، المركز العراقي للاعلام، دمشق، 2001.
12. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، بغداد ، 1974 .
13. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920 ، ط2، دار السلام ، بغداد، 1975.
14. عدي حاتم المفرجي ، التيارات السياسية في مدينة النجف الأشرف وموقفها من التطورات السياسية في العراق 1954-1963، ط1، دار الميزان، النجف، 2014.
15. عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ج1، منشورات الثقافة الجديدة، دمشق، 2002 .
16. محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر والادب في النجف الأشرف خلال الف عام ،مج3، بيروت ،1992.
17. مقدام عبد الحسن الفياض ، تاريخ النجف الساسي 1941-1958 ، بيروت ،2002.
18. هادي حسن عليوي، الأحزاب السياسية في العراق، لندن، 2001.

ثانياً/ البحوث

1. ذنون يونس الطائي، اثر الأفكار الاصلاحية العربية على المجتمع العراقي حتى 1932، دراسات تاريخية، مجلة بيت الحكمة، بغداد، 2003 .
2. صلاح الخرسان، الحزب الشيوعي والظاهرة الدينية، مجلة الموسم، العدد(89)، السنة(2011).
3. محمد هادي الاسدي، فتوى الامام الحكيم حول الشيوعية، مجلة الموسم، العدد(89)، السنة(2011).
4. ناجي علوش ،الشيوعيون العرب وحركة التحرر العربي ، مجلة دراسات عربية ، بيروت العدد 1 ، تشرين الثاني 1966.

ثالثاً/ المصادر الانكليزية

1- Fouad Jabir Kadhem, The Sacred and the Secula,The ulama of Najaf in Iraqi politics between 1950 and 1980, As a thesis for the degree of, the University of Exeter Institute of Arab & Islamic Studies,2012.